أبو الحسن علي الحسني الندوي

دور الجامعات الإسلامية المطلوب

في تربية العلماء وتكوين الدعاة

وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة

(مقالة أعدت لمؤتمر تكوين الدعاة الذى عقدته رابطة الجامعات الاسلامية فى القاهرة فى ضيافة جامعة الأزهر و التعاون مع وزارة الأوقاف المصرية فى الفترة ما بين ٢٠-٢٢/ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ١٨-٢٠ أبريل ١٩٨٧م) .

ملتزم النشر والتوزيع
المجمع الاسلامي العلمي
ندوة العلماء، ص.ب ١١٩ لكناؤ الهند

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات «المجمع الاسلامى العلمى»

رقم : ٢١٠

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م

المطبعة الندوية (مؤسسة الصحافة و النشر)

ندوة العلماء لكهنؤ (الهنـــد)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الرسالة

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله وعلى آله و أصحابه و سلم .

و بعد فهذه مقالة أعدت لمؤتمر تكوين الدعاة الذى عقدته رابطة الجامعات الاسلامية فى القاهرة فى ضيافة جامعة الأزهر و التعاون مع وزارة الأوقاف المصرية فى الفترة من ٢٠ - ٢٢ / شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ١٨-٢٠ أبريل ١٩٨٧م .

و لم يقدر لصاحب المقال أن يحضر المؤتمر و يشارك فيه عملياً و جسدياً ، لعوائق حالت دون ذلك ، و قد أرسل المقال إلى المسئولين عن المؤتمر قبل انعقاده بمدة كافية .

www.abulhasanalinadwi.org

والآن يقدم المقال مطبوعاً منشوراً إلى المسئولين عن الجامعات الاسلامية ، والمؤسسات التعليمية ، والتربوية وقادة الفكر و موجهى الشعوب و البلاد الاسلامية ، لما فيه من توجيهات و تجارب و حقائق ليست مقيدة بزمان ومكان ، و لما فيه من تعويض و تلاف عن غيبة صاحب المقال لأسباب قاسرة عن هذا المؤتمر المؤتمر الهادف ، وبالله التوفيق .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكهنؤ
١٨ / شعبان ١٤٠٧هـ
١٨ / أبريل ١٩٨٧م

www.abulhasanalinadwi.org

دور الجامعات الاسلامية المطلوب

فى تربية العلماء و تكوين الدعاة ، و حماية الأقطار الاسلامية من التناقض و المجابهة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

سادتى الأجلاء ، و زملائى العاملين فى مجال التعليم والتربية ، وإخوانى المعنيين بحاضر الأمة الاسلامية ومستقبلها ، و رسالتها و شخصيتها !

أنتهز هذه الفرصة الكريمة التى لا تسنح إلا بعد آجال طويلة ، للتحدث فى موضوع أعتقد أنه بالنسبة إلى الأمة الاسلامية و العالم الاسلامى ، قضية حاسمة شديدة الحساسية و الخطورة ، و أومن باخلاص و فى حماس أنه إذا لم تكن لهذا الالتقاء العلمى التعليمى الاسلامى العالمى

www.abulhasanalinadwi.org

الكريم قيمة و نتيجة غير هذا البحث و الوصول إلى نتيجة فيه ، كان التقاءاً مباركاً حاسماً يملى تاريخاً جديداً ، و يفتتح عهداً سعيداً للامة الاسلامية باذن الله تعالى ، ويزيد هذا اللقاء قيمة ومكانة وجود عدد كبير أو أكبر عدد متيسر - إذا لم أكن مبالغاً أو متفائلا أكثر - من أصحاب الاختصاص فى التعليم الاسلامى ، و الأساتذة الكبار و المشرفين على الجامعات الاسلامية و قادتها و موجيها ، و يحق لى لذلك أن أخاطب نفسى بما قاله الشاعر العربى القديم و أنشد :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى
فأنت بمرأى من سعاد و مسمع

الغاية الأولى و الأساسية من التعليم :

أيها السادة ! وفقنى الله أن أقرأ كثيراً مما يتصل بالتعليم و التربية و غايتهما المنشودة ، والفائدة التى يجب أن تجنى منهما ، لكنى أكتفى بهذه المناسبة بتقديم شهادة واحدة فيما يتعلق بتعريف العلم وتحديد غرضه لخبير تعليمى بريطانى

www.abulhasanalinadwi.org

معروف (Sir Prrcy Neinn) من مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية :

« لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتربية ، و لكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هى الجهد الذى يقوم به آباء شعب و مربوه لانشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها ، إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ ، تلك القوى الروحية التى تتصل بنظرية الحياة ، و تربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب ، و تمد يدها إلى الأمام » (١) .

إن هذا التعريف بالتعليم و التربية هو أروع و أجمع وأكثر تواطئاً مع العمل والتطبيق من بين جميع المحاولات التى بذلت فى سبيل التعريف بالتعليم و الثقافة .

ما هى غاية التربية ؟ و ماذا يراد من ورائها ، ولماذا تبذل المواهب الفنية على التعليم ، و لماذا تنفق قوى الأمة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، بند « التعليم » (Education)
The Encyclopedia Britannica ,

www.abulhasanalinadwi.org

بسخاء و على طريقة منظمة ، أ لكى يوجد التعليم فجوة بين الأمة وبين ما تعتز به وتتبناه من معتقدات وأغراض ، و تراث حضارى و علمى و تصورات ، سواء كان كل ذلك مما ينبغى الاعتزاز به أم لا ، لكن الشىء الذى تحبه ، و المعتقدات التى تعتز بها ، و التصورات و القيم و المثل والعقائد و الأفكار التى تتغنى بها ، والتراث الذى توارثته من آبائها و أسلافها ، من وظيفة التعليم الأولى أن يربط بين الأمة و بين هذه الأشياء ، وينقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة و النشء الجديد ، ذلك التراث الذى أفرغ عليه سلفها خير قواهم و مواهبهم ، وبذلوا مدة طويلة من وقتهم ، و ربما قاتلت تلك الأمة فى سبيله و حاربت و جاهدت و ضحت بعزها و شرفها و مجدها التليد ، و من الفضول أن نتعرض بهذه المناسبة لما إذا كانت القيم التى حاربت الأمة من أجلها قيماً صالحة أم لا ؟ لكن مسئولية التعليم أن ينقل هذا التراث إلى الأجيال المتلاحقة ، ولا يقتصر على النقل و التصدير فحسب ، بل يعمقه فى القلوب والأذهان ،

www.abulhasanalinadwi.org

و يجعل القلوب و العقول تسيغه و تتذوقه ، ولا يعود نابياً لديها أو أجنبياً عندها ، بل يعود مألوفاً لها و محبوباً عندها و يصير طبيعة لها .

أمة محمد ﷺ أمة ممتازة فى خصائصها و مزاياها ، وصياغتها وعناصر تركيبها :

أرى أن هذا التعريف بالتربيـــة بقلم خبير بريطانى تعريف جامع جداً ، لكن إذا كان الأمر أمر أمة عقائدها و قيمها ليست من عند نفسها ، بل هى نابعـــة من الوحى الالهى ، و الكلام الالهى ، و النبـوة و الرسالة ، و العلم اليقينى الغيبى الأزلى الذى لا يحول و لا يزول و لا يتغير قليلا أو كثيراً ، فهنالك تتضاعف المسئولية و تتضخم .

فاذا كان هناك تعليم يزعزع عقـائد تلاميذه ـ من شعور أو من غير شعور ، عن قصد أو عن غير قصـد ؛ عن خطأ أو عن خطة مدبرة ـ و يزعزع جذور قيمهم فى قلوبهم ، و يفكـك عراها و يمزقها و يثير فى قلوبهم شكوكا و شبهات لا تزول ، وصراعاً نفسياً ، و يتجاوز هذا الصراع

www.abulhasanalinadwi.org

الأفراد إلى الحياة الاجتماعية للامة ، و يتحول الصراع إلى حرب دامية شعواء بين تلك القيم و المفاهيم و التصورات و المعتقـدات ، و الأفكار و العقائد ، و بين ذلك الجيل المثقف بذلك التعليم و تلك الثقافة ، فالأمر أدهى وأمر .

أيها السادة ! إنى لا أؤمن بالاسـلام كتراث (Legacy) ولا أرى ذلك تعريفاً لائقاً بالاسلام: ولذلك فانى لست معجبـاً بالكتب التى وضعت بعنـوان : (Legacy of Islam) و (Heritage of Islam) إنى أرى الاسلام رسالة للحياة ، ولا أراه قادراً على مسايرة الزمان فحسب ، بل أراه قائداً للزمان ، وموجهاً له ، لاأراه مرافقاً للزمان فى رحلة الحياة بل أراه مرافقاً للزمان ومراقباً له ، فاذا كان هنالك مثقف بالتعليم العالى يقع فريسة الشك و الارتياب فى جميع قيمه وتصوراته ومعتقداته ، أو يعود يراها دمى يسلى بها الصبيان و الأطفال ، أو أسطورة يتسلل بها السـذج و الجهال ، أو يصبح لا يتحمس لها ، ولا يقاتل فى سبيلها ولا يدافع عنها ولا يغامر من أجلها إذا مست الحاجة إلى ذلك ، إذا كان

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك فان هذا التعليم عدو لدود لمن يحصله يجب أن يفر منه فرار الانسان من الأسد بل أكثر من ذلك .

قضية البلاد الاسلامية أهم و أكبر خطراً :

أيها السادة ! و حين أتحدث إليكم فى هذا الحفل الكريم ، و فى رحاب جامع الأزهر الشريف ، فانى أخاطب العالم الاسلامى كله ، إن الأمر يصبح ذا خطورة وحساسية وتعقيد إذا كان يتعلق ببلد اسلامى، تعيش فيه أمة ذات شخصية ، وذات خصائص و مميزات ، ذات دعوة و رسالة ، ومكلفة بقيام دور فريد فى العالم البشرى ، تنبع معتقداتها و قيمها و مثلها ، وتصوراتها وأفكارها ، و وجهات نظرها من الوحى الالهى ، فاذا كان التعليم يحدث صراعاً فى مثل هذا الجيل ، و يجعله يخلع معتقداته وتصوراته العريقة بعد ما يتخرج فى جامعة عصرية ، و يصبح و كأنه أمة جديدة أو أمة أجنبية تبدو نابية قلقة بين الشعب المسلم و يحصل من ذلك كله تعقيد جديد ، و تحدث مشكلة جديدة و يحدث صراع مرير - وقد يكون صراعاً دموياً -

www.abulhasanalinadwi.org

بين هذا الجيل المثقف و بين عائلتـــه الاسلامية و آبائه و أمهاته ، و بين المجتمع الذى هو عضو فيه ، وبين تاريخه و تراثه ، و قيمه و مآثر أسلافه ، و بين منصبه و مكانته التى حباها الله إياه ، وبين رسالة الاسلام والعمل الاسلامى ، و آمال الأمة الاسلاميـــة و أحلامها ، إذا كان كل ذلك فانى لا أرى فى هذا التعليم خيراً ، ولا أراه خدمة للانسانية ، بل إنه خيانة للامة و جناية على الانسانية .

المسئولية الأولية للجامعات فى بلد إسلامى :

و معذرة إليكم فانى لا أشير إلى جامعة بعينها ، و لا إلى المسئولين عن جامعة محـــدودة ، و إنما أتعرض لأمر مبدئى و أريد أن أقرر أن المسئولية الأولى والأهم و الأقدم لجامعة تقوم فى بلد إسلامى ، هى أن تؤكد ايمان الأمة بالعقائد و الأفكار التى تؤمن بها ، و الحضارة التى تحتضنها و الدعوة و الرسالة التى تتبناها ، و الخصائص و المزايا التى تحملها ، حتى لا يعود هـــذا الايمان إيمان رجل عادى أو إيمان رجل الشارع بل يكون إيمان عالم ، إيمان مثقف ، إيمان

www.abulhasanalinadwi.org

دارس ، و يطمئن عقله كما يطمئن قلبه ، و لا يعود كما يقول الدكتور محمد اقبال : « قلبه مؤمن و عقله كافر » ، مشيراً إلى فيلسوف غربي . . . و إذا كان الصراع لايجوز بين الفرد والجماعة ، فانه كذلك لا يجوز بين القلب والعقل فى حياة المرء الانفرادية ، فاذا كانت هناك جامعة تسبب هذا الصراع ، أو يسببه منهاجها التعليمى و منهجها العلمى ، و نظامها الادارى ، و بيئتها العلمية ، فذلك شؤم لا شؤم بعده للبلد الذى تقوم فيه الجامعة .

لا بد من اطمئنان القلب و العقل معاً :

إن الغاية الأساسية للجامعات الاسلامية ، أن توجد الايمان بتلك الأشياء التى أشرت إليها ، الايمان الذى يأتى عن طريق العلم و الثقافة و الدراسة ، و عن الشعور و التفكير ، و عن طريق اقتناع العقل ، و عن الدراسة المقارنة ،و إذا كان هناك رجل إنما يؤمن قلبه ولا يطمئن عقله ، و هو يعلل عقله و يسليه ، ويحاول أن لا يستيقظ عقله ، شأن الأمم غير المسلمة العديدة التى ترى بقاء دياناتها

www.abulhasanalinadwi.org

و رقيها فى عدم يقظة الشعور ، و تحاول أن يظل أتباعها سادرين فى سبات الغفلة ، مسدوداً عليهم منفذ النور و الهواء ، و من هنا وقع بين « الكنيسة » و « العلم » ذلك الصراع الدموى الذى تقرؤن قصته المؤلمة المفجعة فى كتاب « الصراع بين الدين و العلم » (Conflict Between Religion & Science) للعالم الأمريكى المعروف « درابر » (Johan William Draper) و إنما وقع هذا الصراع لأن الكنيسة كانت ترى أن الخير كل الخير فى تبلد الشعور الانسانى بل كانت تعمل فعلا على تجميده و إماتته ، وكانت تؤمن بأن من الخير و السعادة أن يكون الانسان محدود العلم قاصر المعرفة ، بل عديم العلم جاهلا ، و مادام الحال على هذا المنوال ، كان الايمان بالكتاب المقدس راسخاً قوياً ، و كانت المسيحية عميقة الجذور ، بعيدة الغور فى المجتمع ، ذلك أن العهد العتيق كان يشتمل على كثير مما لا يؤيده العلم الحديث ، بل ينفيه و يفنده ، فكانت الكنيسة رأت من المصلحة أن لا يتيقظ شعور المسيحى ، و لا يتفتح

www.abulhasanalinadwi.org

وعيه و لا يتسع أفقه ولا يتقدم العلم ، فحاولت أن تقف في وجه العلم لأنها ظنته عدواً لها لدوداً ، و خصماً محارباً حانقاً ، فأنشأت محاكم التفتيش الديني العقائدي (Courts-of inquistion) و انتشرت في ربوع العالم المسيحي وعواصمه و مراكزه ، و منحت الحرية المطلقة في محاكمة أصحاب النظريات العلمية و الاكتشافات في عالم الطبيعة و الفلك و العلوم الطبيعية ، و إجراء العقوبات القاسية الوحشية على معتنقيها ومعلنيها ، وقد أثبت بعض المؤرخين أن ضحايا هذه المحاكم يربو عددها على عدد المصابين والقتلى في الحرب الكونية الأولى (١) ، و قد جر هذا الحجر العلمي والفكري وفرض إطار خاص و دائرة محدودة من الدراسات و كتب المطالعة على الشباب و الدارسين ضرراً كبيراً على مستقبل الدين وعقلية الجيل الصاعد ، و أحدث حركة رد فعل عنيفة ضد هذا الاحتكار العلمي و الاستبداد الديني و النظر الضيق المتزمت .

(1) John Davenport Apology for Muhammad & The Quran ,

www.abulhasanalinadwi.org

درس من تجارب الماضى :

و قد أثبت علم التربية و علم النفس أن الحجر على الشباب فى القراءة والاطلاع ،كالحجر على الأطفال القاصرين الذين لم يبلغوا سن الرشد ، تجربة مخفقة وعملية مثيرة فيهم التساؤلات و الشكوك ، و النهامة بالممنوع المحظور ، و أن هذا الصنف من الدارسين غير جدير بالثقة فى مواجهة الأفكار الغريبة و التحديات العلمية و العقائدية ، إن المنهج التربوى المتزن السليم هو الاطلاع على وجهات النظر و المدارس الفكرية المختلفة مرفقاً ذلك بتوجيه الأساتذة الراسخين فى العلم و الدين ، مع مناقشتها و عرضها على المحك العلمى و الدينى و تقرير الصحيح و تزييف الزائف ، و ذلك مما يتفق عليه خبراء التربية و أصحاب التجربة و الاختصاص فى علم النفس و علم الاجتماع ،

يقول ا. وهتنى جريسولد (A. Whitney Griswald) فى كتابه مقالات حول التعليم (Essays on Education) :

www.abulhasanalinadwi.org

« كانت عاقبة الرقابة و التعذيب ، الفشل دائماً فى التاريخ ، إن أقوى سلاح وأنفذه لمكافحة الأفكار السيئة ، هو سلاح الأفكار الطيبة ، و لا تنبع الأفكار الطيبة إلا من منبع الحكمة ، وليس هناك طريق أضمن لحصول الحكمة إلا طريق التعليم الحر الذى لا عنف فيه » .

و يقول ثيودر شرويدر (Theodore Schuoeder) فى كتابه « العبودية العقلية » (Intellectual Slavery) :

« تساعد الرقابة على الاحتفاظ بمختلف أشكال الظلم و وقايتها ، و ننخدع بهذه الوسائل و نحسبها ضماناً لحريتنا و ديموقراطيتنا ، لكنها تحرمنا الفراسة التى نحتاج إليها فى الطريق الطبيعى للنمو الاجتماعى و عادة يجهل هذا الجهل الثورات أكثر دموية » .

واضطرت المسيحية أخيراً أن تضع السلاح أمام مد العلم و سيله الجارف ، و تياره العنيف ، لأنه حاجة الانسانية ، و مقتضاها الطبيعى ، و عاطفة الانسان الداخلية ونعمة الله الغالية ، وضرورة العالم البشرى ؛ جعله الله لكى

www.abulhasanalinadwi.org

يخضر و ينمو و يورق و يثمر ، لا لكى يذوى و يذبل ويموت ، و هل تموت الحقائق ؟ على كل فان العلم كسب المعركة و ذاقت الكنيسة مزيمة و عاراً و شناراً منقطع النظير أمام العلم و تطلع الانسان إليه و طلبه الجامح له .

تلك هى الكارثة المشئومة التى وقعت فى العالم المسيحى ، و لكنها تركت آثارها على دنيا البشر كلها وعلى جميع الديانات تقريباً ، و قد جعلت الناس يفهمون أنه لا يمكن أن يتقدم العلم و العقل معاً و أن يساير الدين العلم ، ولا بد هنا بصفتى دارساً للتاريخ أن أعترف ـ مع الأسف ـ أن هذا التصور الخاطىء قد نال بعض نصيبه من المقبول فى بعض الدول الاسلامية و لو لبعض الحين ، لكنه ما لبث أن لقى حتفه ، لأنه يتنافى مع روح الاسلام وطبيعته و لم يدم هذا الصراع المصطنع فى العالم الاسلامى ، و إنما كان قد نشأ عن طريق أوربا المسيحية ، و لكنه غاب و انقشع كسحابة صيف ، أو بسرعة أكثر منها .

www.abulhasanalinadwi.org

مصير العلم مرتبط بالقلم :

أرى أن من واجبات الجامعات الاسلامية أن تحاول أن لا تقع فجوة بين العلم و الدين كما وقعت بينهما فى العالم المسيحى ، أو فى دنيا الديانات التى لم تكن فيها رابطة بين العلم والعقل ، بل إن نشوءها كان مدينا للجهل ، فقد تولدت و ازدهرت بمعزل عن العلم و العقل بل على غفلة من العلم و العقل ، ففيها مجال لنشوء الفجوة بين العلم و الدين وبين العلم و العقل ، و لكن لا يتصور ذلك فى الدين الذى أعلن دعوته منذ اليوم الأول بل منذ اللحظة الأولى بما يلى :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (١) .

الدين الذى لم ينس هذا القلم المتواضع حتى فى الحلقة الأولى من وحيه ، و لم ينسه لدى هبوب النفحة الأولى من النفحات الربانية ، لم ينس أن يؤكد أن مصير العلم مرتبط بالقلم ، لم ينسه فى خلوة غار حراء التى ارتادها نبى أمى يتلقى

(١) سورة العلق الآية ١-٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

الرسالة الالهية لهداية البشرية ، ذلك النبي الذى لا عهد له بالقلم و لم يعرف من ذى قبل كيف يحرك القلم ، و لم يتعلم فن الكتابة و القراءة بتاتا ، شيئ ان يجد الانسان نظيره فى تاريخ العالم البشرى ، و لا يمكنه أن يتصور هذا المكان العالى ، لا يمكنه أن يتصور أن ينزل وحى على نبى أمى بين أمة أمية فى منطقة لم تعرف القراءة و الكتابة معرفة تذكر ، فضلا عن المدارس والمعاهد و دور التعليم والجامعات ، فى الوقت الذى لأول مرة تم فيه اتصال السماء بالأرض بعد مدة قرون ، و لا يبتدئ هذا الوحى بكلمة « أعبد » و لا بكلمة « صل » أو ما إليهما من الكلمات المتجانسة ، و إنما يبتدئ بكلمة « اقرأ » يخاطب المنزل عليه بالقراءة و لا عهد له بها ، لكى يقرر و يؤكد له أن الأمة التى يكلف بهدايتها و تربيتها و تعليمها هى أمة ليست ولوعا بالعلم فحسب ، بل ستكون معلمة العالم مولعة بنشره و تصعيده و ترقيته ، و العهد الذى تقوم فيه بوظيفة الهداية و التبليغ و التربية و التعلم ، إنه ليس عهد الأمية والوحشة والجهل ،

www.abulhasanalinadwi.org

و عهد الظلمة و الهدم و التخريب ، و إنما هو عهـــد العلم و العقل و التفكير ، و عهد النظر و الحكمة ، و عهد البناء و التعمير ، و عهد حب الانسانية ، و عهد الرقى والتقدم .

كانت التجربة الفريدة الطريفة ــ لو صح التعبير ــ فى تاريخ الديانات و تاريخ العـالم أن الوحى الأول الذى نزل على النبي الأمى بين الأمة الأمية كانت بدايته بكلمة «اقرأ» : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » كان من الخطأ الفادح أن انقطعت صلة العلم بالرب ، فحاد عن الصراط المستقيم ، فجاء الوحى الالهى الذى نزل على النبي الأمى يصله بالله و يربطه بالرب تبـارك و تعالى ، حيث جاء ذكر العلم مقرونا باسم الرب ، لكى يعلم البشر ضرورة بداية العلم والتعليم والقراءة باسم الرب الذى وهب هذه النعمة الغالية و من بهـــا على عباده و هو الذى خلقه ، فلا يتقدم تقدما متزنا إلا تحت توجيهه و هدايته ، إن الآية التى نتحدث عنها ، إنها ذات ثورة و انقلاب عظيم فى التفكير والعقلية والنفسية ، قرعت الآذان البشرية فى بداية الاسلام، وكان ذلك شيئاً لم يخطر

www.abulhasanalinadwi.org

من أحـــد على بال و لم يتصوره فى حال من الأحوال ، لو سئل الأدباء و الحكماء و الفلاسفة و العلماء فى العـالم البشرى عن مفتتح هذا الوحى الذى سينزل على النبى الأمى ، لم يكن أحد منهم - يعرف طبيعة تلك الأمة التى نزل بينها الوحى و يعرف عقليته - ليقول إنه سيبتدىء بكلمة «اقرأ» كان لهم أن يتنبأوا بكل شىء ، و لكن لم يكن لهم ليتكهنوا أن الوحى سيكون استهلاله بكلمة «اقرأ» ، ثم إنه لم يبتدىء بكلمة « العلم » و إنما بالقراءة ، و القراءة تتضمن الكتـابة والقلم والورق ، بينما العلم قد يكون وهبيا لا يحتاج إلى القلم و القراءة و الكتابة و الورق ، مما دل على أن هـــذا العلم سيكون وليد القلم ، وليد الورق ، وليد الكتابة ، وليد المكتبات و الكتب و المؤلفات و الصحف ، وليد التجارب وليد الذكاء : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

هذا الدين لن يفارق العلم :

مما يجب الانتباه له أن الوحى الالهى أكد أن طبيعة هذا الدين أنه لن يفارق العلم ، لأن الرسـالة الأولى التى

www.abulhasanalinadwi.org

وجهتـــه إلى البشرية تأمر بالقراءة ، فكيف يسوغ أن يبقى المسلمون جاهلين لا يعرفون القراءة ، و المسلم الذى قطع صلته عن العلم ليس بمسلم حقيق ، ولا يجوز له أن يدعى أنه ممثل صحيح للاسلام ، ثم يجب الانتباه لهـــذه الدعوة الثورية : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » كيف ينبه الوحى الالهى على أن تكون هذه الرحلة ـ رحلة العلم ـ فى هداية هاد كامل ، و ليس هو إلا الله العليم الكريم ، لأن الرحلة طويلة شاقة ، معقدة خطرة ، و الطريق وعرة ذات منعطفات تعترضها بحار و أنهار ذات عمق سحيق ، و تتخللها غابات كثيفة فيها سباع مخوفة ، و حيات و عقارب سامة و كل حيوان ضار .

لكنه ليس مجرد علم ، ليس عبارة عن معرفة بالدمى و اللعب ، و ليس عبـارة عن التسلية ، و ليس مما يحرش فيما بين الانسان و الانسان و الأمة و الأمة ، و ليس عبارة عن معرفة طرق ملء البطون ، و عبارة عن تحريك اللسان و لوك الكلمات بل هو : « اقرأ باسم ربك الذى

www.abulhasanalinadwi.org

خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ و ربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

فهل رفع من قيمة القلم أحد فى التاريخ البشرى أكثر من ذلك ؟ حيث يذكر بهذه الأهمية ، وبهذا التمهيد الكريم، فى خلوة غار حراء ، و فى الوحى الأول الذى ينزل من السماء ، ذلك القلم الذى ربما لم يكن بالامكان تواجده فى بيت من بيوت مكة ، لا أكاد أدرى لئن رحتم تبحثون عنه رجعتم بفائدة أم لا ، ربما وجدتموه فى بيت ورقة بن نوفل ، أو أى رجل تعلم الكتابة فى ديار العجم ، القلم الذى ربما لا تجدون ذكره فى دواوين الشعراء العرب الجاهليين المعاصرين مهما قلبتم الصفحات و أعدتم القراءة .

عصارة كل علم و ثقافة « علم الانسان ما لم يعلم » :

ثم دل على حقيقة خالدة ذات انقلاب عظيم ، وهى أن العلم لاحد له و لا نهاية ، فقال : « علم الانسان ما لم يعلم » ، وليس العلم الحديث (SCIENCE) إلا انعكاساً

www.abulhasanalinadwi.org

لـ « علم الانسان ما لم يعلم » ، و كذلك التكنولوجيا ليس إلا مظهراً لـ « علم الانسان ما لم يعلم » ، و ينزل الانسان على القمر ، و لا يعنى ذلك إلا « علم الانسان ما لم يعلم » و يغزو الفضاء ، ويطوى أرجاءه طياً ، ويسخر أشعة الشمس و يشق طريقه بين النجوم و الكواكب و يحلم بالنزول بين السماكين ، إن كل ذلك ليس إلا عبارة عن « علم الانسان ما لم يعلم » .

على كل فان الأمة التى كان أساسها الأول على القراءة ، و خاطبها الوحى الالهى الأول بذكر القلم ، إن تلك الأمة لن تفارق العلم و المعرفة ، لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم .

ثم يجب أن يكون فى الاعتبار لدى إنشاء كل مدرسة أو جامعة أو اتخاذ منهج تعليمى لتعليم هذه الأمة ، أن يكون الهدف من كل ذلك ترسيخ الايمان بالعقائد و الحقائق التى آمنت بها من ذى قبل ، وأن يتأتى هذا الترسيخ عن طريق القلب و العقل معاً ، و لا يكفى اطمئنان القلب أو العقل

www.abulhasanalinadwi.org

فقط ، لأنه حينئذ سيحدث صراع بينهما فى الحياة الفردية للانسان ، و سيتدرج هذا الصراع إلى الحياة الجماعية . . .
و على ذلك فيتخرج جيل يتصارع مع مجتمعه ، و يتصارع مع دينه وعقيدته، و تضيع كل القوى فى إزالة «الانقاض» فقد رأى بعض قادة بعض الشعوب و البلاد الاسلامية أنه يجب أولا إزالة الانقاض ، و ركزوا كل عنايتهم على إزالة الانقاض من العقائد و الحقائق ، و استنفذت هذه العملية كل قواهم ، و استغرقت فرصة أعمارهم ، و لم يتمكنوا من عرض دعوتهم و نشر رسالتهم ، و زرع أفكارهم التى كانوا بصدد نشرها .

فاذا كان هناك منهاج تعليمى يعمق إيمان الأمة بالعقائد و الحقائق التى تحتضنها فهو منهاج موفق ، ولا سيما بالنسبة إلى الانسان المسلم الذى جاء يحمل رسالة و يحتضن دعوة ، فيجب أن يكون منهاجنا التعليمى و الثقافى بحيث يرسخ الايمان فى قلب المثقف و قلب الدارس و قلب الطالب الجامعى ، و قلب الفيلسوف و قلب المفكر ، ويجعلهم جميعاً

www.abulhasanalinadwi.org

توفر لهم عقولهم دلائل لذلك ، ويستخدمون الثروة العلمية القديمة و الجديدة المنتشرة على ظهر البسيطة فى تحقيق هذا الغرض الأكبر لتقرير هذه الدعوى الكريمة .

أيها السادة ! إذا استطاعت جامعة أن تصنع ذلك فهى الجامعة التى تستحق أن تسمى جامعة إسلامية ، وأعتقد أن ذلك خير تعريف لها .

حماية الدين من التحريف و المسلمين من الانحراف :

وعلى حملة علوم الدين وأصحاب الرسوخ والاختصاص فيها من المتخرجين فى الجامعات الاسلامية و المدارس الدينية ، و على الدعاة ، عهدة صيانة الاسلام عن التحريف و المسلمين عن الانحراف ، و الحفاظ على الدين ، والذب عن حوزته ، ويحتاجون من أجل القيام بذلك إلى الصفات الدقيقة السامية المثالية ، و القوة الروحية الداخلية ، و الثقة بخلود الدين ، و الغيرة عليه ، و القدرة على التمييز الدقيق بين الجاهلية و الاسلام و الإشراك و التوحيد و السنة

www.abulhasanalinadwi.org

و البدعة ، و الامتياز بالاشتغال بالحديث الشريف (١) ، و مطالعة تاريخ المصلحين المجددين للدين فى عصور مختلفة (٢) إلى ما لا يحتاج إليه بطبيعة الحال من يستعمله الله فى نشر دين من الأديان ، و لذلك فان هذا الواجب وضع على عاتق العلماء ، و نائبي الرسول ﷺ ، وخص به العلماء الربانيون المتفقهون فى الدين الغيارى عليه المميزون بين الاسلام و الجاهلية - بجميع أنواعها و ألوانها - المطلعون على تاريخ الديانات والصحف التى تعرضت لتحريفات المحرفين و أغراض المغرضين ، وقد جاء فى حديث صحيح : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين (٣) » .

و ما كانت لتجرى هذه الكلمات العميقة المعانى ،

---

(١) و التفصيل فى رسالتنا : « دور الحديث فى تكوين المناخ الاسلامى و صيانته » ، فليراجع ، طبع المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكهنؤ - الهند .

(٢) ليرجع إلى سلسلة « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » طبع دار القلم للكويت ١-٤ .

(٣) مشكاة المصابيح ، نقلا عن البيهقى الفصل الثانى ، ص/ ٢٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

و الدقيقة الدلالات إلا على لسان نبي مرسل صادق مصدوق، فلو قرأتم تاريخ الاصلاح والتجديد فى الاسلام ، والمساعى و المجهودات التى قام بها العلماء و الأئمة ، و القائمون بحفظ الدين لوجدتم جميع الجهود المبذولة فى سبيل الحفاظ على الدين تأتى تحت هذه العناوين الثلاثة ، إن للكلمات أعماقاً و آفاقا هى أوسع و أعمق مما تبلغ إليه فهوم الرجال و تحد بحدود النماذج و الأمثال .

و من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف، و إخضاعها للتصورات العصرية الغريبة ، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة ، وبيئات مختلفة ، و لها خلفيات و عوامل و تاريخ ، و هى خاضعة دائماً للتطور و التغيير ، فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية و المصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات وعلى الأعراض والكرامات ، بل أكثر منها وأشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعة و حماه و شعائره ، و إخضاعها للتصورات

www.abulhasanalinadwi.org

الحديثة أوتفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة إليها لا إحسان، و إضعاف لها لا تقوية ، و تعريض للخطر لاحصانة ، و نزول بها إلى المستوى الوطنى المنخفض لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس.

العناية بتربية السيرة :

و الوظيفة الثانية للجامعات هى تربية السلوك والسيرة، حتى يكون المتخرجون فيها قدوة للعلماء و الدعاة فضلا عن أفراد الأمـــة و أحاد الناس ، فلتوجد الجامعات سيرة يربأ صاحبها بنفسه عن أن يبيع ضميره « بحفنة من شعير » إن الفلسفات و النظم المضـادة للاسلام ترى أن انسان اليوم يمكن شراؤه فى السوق بقيمة أوبأخرى، فان لم يرض بهذه الكمية من الثمن فسيرضى بكمية أكثر منها... وسر النجاح الحقيقى لجامعة ما أن تربى السيرة، فتخرج رجالا من المثقفين لا يرضون أن يبيعوا ضمائرهم بأى قيمة مهما كانت رفيعة غالية ، و لا تستطيع فلسفة هادمة أو دعوة منحرفـــة ، أو حكومـــة ذات سياسة خاطئة ، أو قوة مدمرة ، مهما

www.abulhasanalinadwi.org

المقياس الحقيق الأصيل ، الذى يقاس به البلد و الأمة ، و ليكن هذا هو المقياس الوحيد فى الشرق و الغرب ، فلا نقيم لبلد قيمة إلا نظراً إلى عدد الشباب الذين يتسامون عن لذائذ الحياة الرخيصة ، و المناصب و الجاه ، و التقدم الشخصى ، و يتوفرون على العمل الجاد البناء ، وعلى العمل العلمى الايجابى النافع ، على رفع مستوى الأمة عقلياً و فكرياً ، و على التوصل إلى نظريات علمية ذات أهمية ، و على بحث علمى معين يتطلب الصبر و التحمل على تعزيز البلاد من جميع النواحى .

إن قيمة الشعوب و الأمم - فضلا عن قيمة الجامعات و المؤسسات - و سر عظمتها و ما تستحق به من إجلال و إكبار ، و تقدير و اعتراف ، وجود أصحاب تفوق و اختصاص و شهرة عالمية ، فى علوم و آداب ، و مجالات علمية ، و بحوث و اكتشافات جديدة ، و هذه كانت ميزة الأمة الاسلامية فقد كانت للمسلمين الرئاسة العلمية

www.abulhasanalinadwi.org

و الزعامة الفكرية نحوا من ألف سنـــة على الأقل (١) ، باقرار من المؤرخين الأوروبيين .

و من واجبات المتخرجين فى جامعاتنـا النابغين أن يهيؤا بديلا عن كتب المستشرقين و علماء الغرب فى التاريخ الاسلامى وفى تاريخ الحضارة الاسلامية و الفكر الاسلامى والعلوم الاسلامية ، كالحديث والفقه و أصول الفقه و تاريخ التشريع الاسلامى ، التى اعتبرت مرجعاً فى هذه المواد ، و قررت فى كثير من الجامعات العربية و الاسلامية واعتمد عليها كثير من أساتذتها و من الباحثين فى هذه الموضوعات و أصحاب رسائل الدكتوراة ، فبثت السموم فى عقول كثير

---

(١) إذا اعتبرنا القرن الثانى الهجرى - وهو زمن الحكم الأموى الواسع - بداية تأثير المسلمين العلمى الفكرى فى الشعوب و البلاد المتحضرة التى كان يحكمها المسلمون ، و سلمنـــا استمراره إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، فقد نشأت الحركة الانتقالية فى أوربا (Renaissance) فى القرن الرابع عشر المسيحى ، و انتشرت فى القرن السـابع عشر المسيحى (الحادى عشر الهجرى) و تميزت بازدهار الأدب و الفن بابتلاج فجر العلم الحديث فى الغرب المسيحى .

www.abulhasanalinadwi.org

من الدارسين و الباحثين الناشئين ، و أنشأت شبهات حول الاسلام و المصادر الاسلامية و أحدثت فى نفوسهم يأساً عن مستقبل الاسلام ومقتا على حاضره ، و سوء ظن بماضيه ، كما أن لهـــا سهما كبيراً فى الحث على « إصلاح الديانة و إصلاح القـــانون الاسلامى » (١) و ليكن للبـــلاد الاسلامية و الشعوب المسلمة اكتفاء ذاتى فى الثقافة و التربية كما يجب أن يكون لها استقلال فى مجال السياسة و الاقتصاد .

تلك هى أهداف حقيقية يجب أن نصبو إليها ، و نضعها فى اعتبارنا ، و نجعلهـــا نصب أعيننا ، أما مجرد التعليم و التثقيف ، و التأهيل لشغل الوظائف و المناصب ، فليس مما يثنى به على جامعة ، و ليس أبداً مما يجلب الحمد و يستخرج الاعجاب .

---

(١) ليرجع التفصيل إلى بحث الكاتب بعنوان « المستشرقون ، نفوذهم فى ميدان التفكير ، فى كتابه « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية » ص ١٨٧ — ١٩٨ الطبعة الرابعـــة دار القلم — الكويت .

www.abulhasanalinadwi.org

الغرض الأصيل من العلم و الأدب ، هو نفخ روح الايمان واليقين فى الحياة و المجتمع :

يجب أن يكون هدف الجامعة - التى قامت فى هذا العهد العصيب ، و فى هذه البلاد المتأزمة - أن تعمل على إزالة الاضطراب والقلق الذى يسود جميع الدول الاسلامية منذ مائة عام تقريباً . . . تفككت عرى عقائدنا منذ بدأ الغزو الفكرى و الحضارى الغربى ، و حدث صراع نفسى و فكرى استنفدت مقاومته معظم القوى العقلية و الفكرية و العلمية لدى الدعاة . . . ان ذلك الوضع غير طبيعى يجب أن يزول فى أقرب وقت ، لكى تتوجه هذه القوى و القدرات إلى الأهداف البناءة و إلى إنقاذ البلد و دفع عجلته إلى الأمام .

الحقيقة أن الأدب و الشعر ، و الفنون الجميلة ، و الحكمة و الفلسفة ، و التأليف و التصنيف ، ليس من وراء كل ذلك إلا غرض واحد ، و هو أن تتولد فى

www.abulhasanalinadwi.org

صاحبه حياة جديدة ، و إيمان جديد ، و بالتالى فى الأمة التى هو عضو فيها و المجتمع الذى هو جزء منه .

و أود أن أنشد لكم أبياتاً قالها شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال و هو يخاطب الأديب و الشاعر ، لأنه ينطبق على الوضع الذى نعيشه جميعاً :

« يا أهل الذوق والنظر العميق ! أنعم وأكرم بنظركم ، و لكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير فى نشيد شاعر و لا فى صوت مغن ، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة و الحماس ، لا بارك الله فى نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول والذوى والذبول » .

إن الأوضاع التى نمر بها نحتاج فيها إلى أن نأتى بأعجوبة ، و تلك الأعجوبة سوف لن تتحقق إلا عن طريق الرسالة الاسلامية ، لأنها وحدها التى تجعل حاملها يصنع المعجزات و يأتى بخوارق العادات ، و يبطل المقاييس ، و يحطم المعايير التقليدية ، و يسخر من كل الموازين التى آمن بها العالم الغربى الجاهلى ، يقول الدكتور محمد إقبال :

www.abulhasanalinadwi.org

« أنا لا أعارض التذوق بالجمال والشعور به ، فذلك أمر طبيعي ، ولكن أى فائدة للمجتمع من علم لم يكن تأثيره فى المجتمع كتأثير عصا موسى فى الحجر و البحر ، و ذلك أن الأمم لا يرتفع شأنها ومكانها فى خريطة العالم حتى تقدر على صنع المعجزات » .

دور مصر الاسلامية القيادى فى العالم الاسلامى :

إن مصر الاسلامية اليوم بفضل ما سجل لها التاريخ من دور رائع فى إنتاج عدد كبير من المؤلفين والمحققين ، و المحدثين و المورخين ، والقادة و المجاهدين ، و ما قامت به من دور حاسم فى الحروب الصليبيـــة (١) و الغـــزو التتارى (٢) ، و ما تملكه من وسائل النشر و التصدير ،

(١) ذلك عن طريق حاكم مصر و قائدها الملك الناصر السلطان صـــلاح الدين الأيوبى ، و انتصاره فى معركة حطين الفاصلة فى ١٤/ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) ، و استعادته لبيت المقدس للمسلمين (بعـــد نحو تسعين سنة من استيلاء الصليبيين عليه) فى ٢٧/رجب ٥٨٣هـ (١١٨٧م) ، و صلح الرملة فى سنة ١١٩٢ المسيحى .

(٢) إشارة إلى انتصار سلطان مصر المملوكى المظفر سيف الدين قطز ، و قائده ظاهر بيبرس البندقدارى فى معركة عين جالوت فى رمضان ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) و انهزام التتر انهزاماً عديم المثال غير مجرى التاريخ ، و اعادة الثقـــة إلى المسلمين ، فقد كان من الأمثال السائرة و من المسلمات التى لا تقبل الجـــدل (إذا قيل لك إن التتر قد انهزموا فلا تصدق) .

www.abulhasanalinadwi.org

والقيادة فى العلم والأدب، وبفضل وجود الأزهر الشريف، تحتاج بصفة خاصة إلى هذه القدرة على صنع الخوارق، و التأثير فى المجتمع كتأثير عصا موسى فى الحجر أو البحر، لأن عليها تعود مسئولية بعث الدول العربية كلها بعثاً جديداً، إن عليها أن تنفخ روحاً جديدة فى البلاد العربية الاسلامية، وتوجد لديها ثقة جديدة، وايماناً جديداً، ونشاطاً جديداً، و انتعاشاً جديداً، و طموحاً جديداً، وقلباً خفاقاً جديداً، يتحرق على بؤس الانسانية و شقائها، وشجاعة جديدة تبعث على المغامرة و الاقتحام، وجرأة خلقية تستطيع بها أن تنفخ الحياة فى هذه الأمم و الأقوام المشرفة على الهلاك، التى تزل أقدامها، و ترتعش أعصابها، و تخفق قلوبها، و تتعثر عقولها، و قد كانت مهد الانتفاضة الاسلامية و الدعوة القوية إلى الصحوة الاسلامية الشاملة حين ساد الجمود و الخمود على كثير من الأقطار العربية، و لا يزال لها جوهر إسلامى نقى يبرز لامعاً صافياً إذا نفض الغبار عنه.

www.abulhasanalinadwi.org

كتب للمؤلف
في
موضوع هذه الرسالة أو فيما يتصل به

● نحو التربية الاسلامية الحرة

في الحكومات و البلاد الاسلامية

مقالات و محاضرات عن سياسة التعليم والتربية في الأقطار الاسلامية، والحاجة إلى صياغتها الاسلامية الجديدة .

الناشر :
مؤسسة الرسالة
بيروت ، لبنان

www.abulhasanalinadwi.org

۞ روائع من أدب الدعوة
فى القرآن و السيرة

محاضرات فى مناهج الدعوة و آدابها ألقيت فى المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى التابع لجامعة ندوة العلماء، لكهنؤ (الهنـــد) .

ملتزم النشر و التوزيع :
المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى
ندوة العلمـاء لـكهنؤ

www.abulhasanalinadwi.org

۞ الدعوة إلى الله

حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف .

قدم هذا المقال للمؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة و إعداد الدعاة ، الذى عقدته الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، فى الفترة بين ٢٤ - ٢٩ صفر ١٣٩٧ هـ .

الناشر :
دار عرفات ، رائے بريلى ، الهند

www.abulhasanalinadwi.org